

خلاصة بحث ألقاه حجة الإسلام والمسلمين السيد صدر الدين القبانجي إمام جمعة
النجف الأشرف في المؤتمر العلمي الثاني بين الحوزة والجامعة والذي أقامته مؤسسة
الغري للمعارف الإسلامية على قاعة رئاسة جامعة الكوفة بتاريخ ٢٣-٢-٢٠١٠م

معالجة

مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)

لأزمة الدين والحدائث

هذه الأزمة أكتسحت العالم الحديث وكان لها تداعيات، وقُدِّمت لها معالجات، الحديث عن الأسس والمنابع الأساسية لهذه الأزمة وماهي المعالجات؟

هذه الأزمة كانت تعتمد على قضية فلسفية وهي:

ماهو مصدر المعرفة؟

الحدائثة تعتمد على العقل البشري والتجربة البشرية، بينما الدين يعتمد على الوحي الإلهي، ومن هنا نشأ التصادم بالشكل الأولي بين الدين والحدائثة، وبين العلوم الدينية والعلوم الحديثة التي تعتمد على الاستقراء والتجربة البشرية بينما العلوم الدينية تعتمد بالدرجة الأولى على الوحي الإلهي.

فما هي الرؤية الفلسفية الصحيحة من وجهة نظر الإسلام، ثم ماهي معالجة أهل البيت(ع) ومدرستهم في هذا الموضوع؟

الإسلام يتعتقد بالمصدر الثنائي للمعرفة وهو العقل والوحي، الفكر والذكر، التجربة البشرية والوحي الإلهي كلاهما مصدر للمعرفة ونستعرض بإيجاز الحلول الحدائثة التي قُدِّمت لهذا التقاطع.

المعالجات من وجهة نظر الحدائثة

هناك حدثيون إسلاميون - إن صح التعبير دون قصد ما تعنيه هذه التسمية- طرحوا مجموعة معالجات وهذا الطرح موجود في مختلف بقاع العالم:

المعالجة الأولى: تعدد المساحات وعزل الوحي عن ساحة الإستخدام البشري كالإجتماع والأقتصاد والسياسة، ويبقى للوحي مساحة الغيبيات وهو عالم السماء، أما العقل البشري فله مساحة الدنيا.

المعالجة الثانية: تاريخانية الدين فالتشريعات الدينية تمثل حالة تاريخية لمقطع زمني معين، حيث لم يكن العقل البشري ناضجاً وقادراً على الأداء ومعالجة مشاكله، فكان هناك الوحي أما بعد ذلك فكان العقل النقدي، أو ما يصطلحون عليه بـ(الوحي القابل للنقد) فيعتقدون ان العقل هو وحي قابل للنقد.

المعالجة الثالثة: الاقتصار على المقاصد الكبرى للدين وما عداها من التشريعات متروكة للعقل البشري، بما في ذلك الحرام والحلال وفق تلك المقاصد الكبرى.

وهذه المعالجات هي بشكل واضح عزلُ للدين عن الواقع البشري وهي ليست مقبولة في الإسلام، وأعتقد ان أصل الأزمة التي نشأت في العالم الإسلامي من اتجاهات في المدرسة الإسلامية يمكن ان نعبر عنها بالاتجاهات السلفية التي لم تسمح للعقل ان يتحرك وأوجد هذا التصادم بين الدين والحدثة.

معالجة مدرسة أهل البيت(ع) لهذه الأزمة

مدرسة أهل البيت(ع) قدّمت حلاً آخرأً ووفق هذا الحل لا نجد اليوم صراعاً بين العلوم الحديثة والدين ولا نجد مثل هذا التقاطع وهذه المعالجة تتمثل بـ:

نظرية الاجتهاد

فالتشريع الإسلامي فيه ثوابت ومتحركات، وهذه المتحركات تخضع للزمان والمكان ولاجتهاد الفقيه في فهم النص وهذا هو امتياز مدرسة أهل البيت(ع)، وهذه النظرية أغلق الباب على أئمة المذاهب قبل عشرة قرون في القرن الثاني والثالث والرابع، ولكن مدرسة أهل البيت اعتبرت ان من حق الفقيه المتضلع ان يجتهد في فهم النص ومعرفة خلفياته، وبالتالي تحريك النص وفق التجربة البشرية وتحريك التجربة البشرية وفقاً للنص وفق ضوابط وأصول، ونذكر بعض النماذج:

النموذج الأول: حرمة بيع الدم في الفقه الإسلامي، والفقهاء كلهم يجمعون على حرمة بيع الدم لكن هذه القضية أخضعت لفقه النص وكل الفقهاء يقولون بجواز بيع الدم والذي اختلف هو المتحركات وهي العنوان الثانوي، والثابت تسمى في الحوزة العلمية بالعنوان الأولي، حيث لم يكن الدم فيه فائدة فكان إعطاء المال فيه مقابله هدراً، أما اليوم فقد أصبح فيه فائدة من خلال بنوك الدم واستخدامه طبيياً إذا أصبح يستحق قيمته المادية.

النموذج الثاني: تحديد النسل، بينما الإسلام يدعو إلى التكاثر والتناسل، وهناك دول تضطر إلى تحديد النسل فكيف نكيّف الموقف الفقهي، فلم يجد الفقهاء مشكلة في تحديد النسل، والآن لدينا دولة إسلامية مجاورة لديها مشروع تحديد النسل قادم على قدم وساق، وقد وقفوا هذا الموضوع مع الفقه الإسلامي عبر العناوين الأولية والعناوين الثانوية وان الموقف ليس تحريماً بمقدار ما هو ممارسة قانونية فلا يرتكب حرمة شرعية، ولكن قانونياً سيمنع من امتيازات معينة.

النموذج الثالث: البنك اللاربوي وهي تكييف التجربة البشرية وفق النص فالبنك تجربة بشرية ولكن الفقه الإسلامي استطاع ان يخضعها للنص الإسلامي بنفس نظام البنك مع شيء من التعديلات.

وبالتالي استطاعت مدرسة أهل البيت(ع) متفردة في معالجة أزمة الحداثة والدين عبر عملية نظرية الاجتهاد والثوابت والمتحركات في الفقه وإخضاع التجربة للنص والنص للتجربة.